

رسالة المغرب

مع هذا العدد

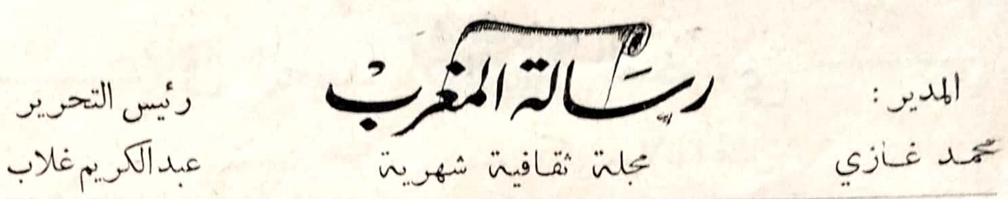
هدية خاصة للقراء

عدد خاص
بعيد العرش الفضي
١٨ نوفمبر ١٩٥٢

***

الثمن ١٠٠ فرنك

المدير :
محمد غازي



مجلة ثقافية شهرية

رئيس التحرير
عبد الكريم غلاب

الرباط (المغرب) العدد ١٤٦ السنة ١١ (نونبر ١٩٥٢ - صفر ١٣٧٢) ثمن العدد ١٠٠ فرنك

فهرس العـدد

جلالة الملك في التاريخ

— بقلم الاستاذ عبد الله كنون —

ليس الملك وحده موجبا للتسجيل في التاريخ، ولا التسجيل في التاريخ وحده بفخر للملوك، فكم من ملوك درجوا بين سمع التاريخ وبصره ولم يحتفظ التاريخ لهم بذكر ولا نقل الينا حتى اسماءهم المجردة بله حياتهم الملكية وكم من ملوك دونت اسماؤهم في التاريخ ولكنا نمر بها مر الكرام باللغو، لانا نبحث عن مآتيهم ومآثرهم فلا نجد لهم محمدة تذكر ولا منقبة تؤثر، بل نجد لبعضهم صفحات سودا طيها احسن من نشرها واخفاؤها خير من اظهارها. وربما جرى ذكرهم على ألسنة الناس للتنديد باعمالهم والتقبيح لسيرتهم فلا فخر لهم في هذا الذكر الذي يسوىء سمعتهم واولى لهم لو كانوا ممن اهملهم التاريخ فلم يعرف نهم اسم ولا لقب.

والامثلة على ما ذكرناه في التاريخ العام والتاريخ المغربي بالخصوص كثيرة لا تعوز قلم الباحث المتنخل للتواريخ ألسنا نضطر فعلا لتخطي كثير من الفجوات في تاريخنا السياسي والادبي اذا اردنا ان نعرض الصفحات المشرقة من هذا التاريخ؛ نلقن بها ابناءنا امجادهم او نعارض خصومنا في دعاواهم؟ وما تلك الفجوات التي نتخطاها الا عهود مظلمة لملوك اساءوا التدبير فاحتفظ لهم التاريخ باسوأ الذكر. ولدينا كذلك اسماء ملوك لم يتحدث التاريخ عنهم بشيء لا خير ولا شر، ففي اواخر الادارسة واواخر المرينيين مثلا من لا يعرف تاريخ ولايته الملك ولا كيف قضى حياته الملكية. وقد وجدنا في سلسلة بني مرين ملكا اسمه عبد الله كان قبل عبد الحق الثاني الذي هو آخرهم، لم يرو التاريخ شيئا عنه ولم يسجل حتى اسمه من بين ملوك تلك الدولة. فالملك وحده ليس كافيا لخلود الذكر ولا حتى لتسجيل في التاريخ.

أما ما يرغم التاريخ على ملء سجلاته وتخليدها صحفا ذهبية تستهوى النفوس وتاسر العقول فهو الاعمال الكبيرة والمشاريع العظيمة التي يقوم بها الملوك بما وهبهم الله من بسطة اليد وسعة النفوذ مع علو الهمة والطموح الى معالى الامور، فهذا في ميدان التعمير والانشاء وهذا في غمرات الحروب والفتوح، وهذا

في نشر العلوم والمعارف، وهذا في العناية بأسباب الحضارة ورفاهة العيش الى غير ذلك من المصالح العليا للامم التي يشملونها برعايتهم ويرتفعون بها الى مستويات العز والسؤدد والمجد الاثيل. وذلك هو الذي خلد ذكر ابي جعفر المنصور وهرون الرشيد والمامون وصلاح الدين وعبد الرحمن الناصر ويوسف بن تاشفين وامثالهم واحاط اسماءهم بهالة من الفخر لا تضمحل ابد الدهر، لا توليتهم الملك وكونهم حكموا امة من الامم في وقت من الاوقات.

وجلالة ملكنا محمد الخامس اذا نظرنا اليه بهذا الاعتبار نجد انه قد املى ارادته على التاريخ مراراً فلم يسعه — وهو المتحفظ كثيرا مع الملوك الاحياء — الا ان يخضع لتلك الارادة الجبارة ويسجل بمداد الفخر والاعجاب مواقفه المشهورة ومساعيه المشكورة لصالح بلاده ورعيته. واذا قلنا ان التاريخ خضع لارادة جلالته فانما نعني التاريخ العام الذي تكتبه كل الاقلام بمختلف اللغات، فهو ابعد ما يكون عن التحيز وليس من قبيل ما يكتبه رعايا الملوك تملقا لهم وتزلفا إليهم.

سعى الملك الى محمد الخامس سعياً ولم يكن هو الساعي الى الملك، وهذا من سعادته وصنع الله له، وكان المغرب يوم تولاه جلالته ينوء تحت ضربات الدهر بأعباء ثقال من شدة وطأة الاستعمار سياسيا واقتصاديا، وتكالب رؤساء الاقطاع على اخضاع الشعب وتسخيره، ومن الجهل الفادح والتخاذل الفاضح وما الى ذلك من عوامل الاضمحلال والفناء. حتى اذا تمكن من امره وعرف حقيقة ما يشكو منه شعبه جند نفسه لخدمة هذا الشعب وبدأ بأفراد بيته من أنجاله الامراء الكرام يعلمهم ويهذبهم ويعدهم الاعداد اللائق بالقدوات امثالهم، علماً منه بان صلاح المجموع بصلاح الفرد وان الامة الناجحة ما هي الا أفرادها الناجحون وهكذا سار محمد الخامس في مقاومة عدو الامة رقم ١ وهو الجهل على نهج لاحب فعلم ودعا الى العلم وشجع حركة التعليم بنفسه وماله، فكان وهو الملك العظيم يحضر بنفسه حفلات تدشين المدارس الابتدائية التي لايحضرها في البلاد الاخرى الا مندوبون عن المعارف من مديري الاقليم او مفتشي المناطق التعليمية. وكان ولا يزال يستقبل كل متخرج في فرع من فروع المعرفة ويحتفي به ويزوده بنصائحه الغالية وهداياه الثمينة على حين ان آت من مثله في البلاد الاخرى ربما لا يحظون حتى بمقابلة وزير المعارف. وكم اجزل من عطاء لاصحاب المدارس، وكم ارسل من متعلمين على نفقته الخاصة الى اريس

وغيرها مما يعلمه الجميع ولا داعي الى الاسترسال في تعداده فان ما نريد ان نصل اليه وهو انه باعث نهضة التعليم في هذه الامة لا ينكره احد. والامر هو كما قلت في خطاب لي يتعلق بهذا الموضوع: «انه اذا كان المولى ادريس (ض) فاتح القلوب في هذا المغرب فجلالته محمد الخامس نصره الله فاتح العقول فيه»

هذه مرة من المرار التي فرض جلالة الملك فيها نفسه على التاريخ والمؤرخين فما يصح ان يكتب احد تاريخا للبعث العلمي في المغرب ولا يجعله نقطة الارتكاز في هذا التاريخ.

وثاني مرة لما هب يحتج على انشاء وزارة فرنسا من وراء البحار وجعل المغرب تابعا لها وذلك في سنة ١٩٣٤. وكانت فكرة إنشاء هذه الوزارة هي النواة لمشروع الاتحاد الفرنسي الذي هيأته فرنسا فيما بعد الحرب العالمية الثانية ورفضه جلالته بدون مناقشة.

وهذا يعني تمسكه باستقلال المغرب وسيادة السلطان، المبدأين اللذين اقرتهما جميع الدول الموقعة على عقد الجزيرة الخضراء ومن ضمنها فرنسا، وهو بهذا التمسك يدافع عن كيان المغرب وشخصيته الدولية في الوقت الذي كان المستعمرون يظنون ان المغرب اصبح لقمة سائغة لهم وان اسمه سياسيا قد محي من صحيفة الوجود.

ولم يقف عمله السياسي عند هذا الحد، فها هي ذي جنود الحلفاء تنزل فجأة بالشواطئ المغربية! وهؤلاء هم «الحماة» ينبرون لمقاومتها بالسلاح! اما جلالته فإنه يأمر بعدم استعمال العنف معهم وبمساعدتهم على مأموريتهم التحريرية، ويستقبل كبار الضباط منهم في قصره العامر بكل حفاوة مما أدى الى ان تطالعنا الصحف في يوم ما من سنة ١٩٤٣ بصورته الكريمة مع الرئيس روزفلت والوزير تشرشل في الدار البيضاء! ها هو ذا الرائد قد اهتدى الى طريق الخلاص! وها هو ذا ثالث اثنين كانا حينذاك المتصرفين الوحيدين في مصير العالم! فليسجل التاريخ!.

ويمضي محمد الخامس يتوقل سلم السياسي درجة درجة، فمن رحلة طنجة الخالدة وخطابه العظيم فيها الى رحلة باريس ومذكرته الى الحكومة الفرنسية الى قضية البرتوكول الذي اقام ثائرة العالم الاسلامي والعربي وتسبب عنه تكوين الكتلة العربية الاسيوية لمناوءة الاستعمار والهيمنة على هيأة الامم المتحدة التي كانت تغض الطرف عن خرق بعض الدول الاعضاء فيها لمبادئ حقوق الانسان وحرية الشعوب الى المذكرة الثالثة التي قدمها جلالته لفرنسا في ١٤ مارس الفائت من هذه السنة الى بلاغ ٨ اكتوبر المنصرم الذي زحفت به القضية المغربية الى اروقة الامم المتحدة

وقامت الكتلة العربية الاسيوية بعرضها ثمت على انظار الدول الاعضاء.

إن هذه الجهود الجبارة يبذلها ملك متوج من اجل حياة شعب متعلق به اشد التعلق، لمما يفتخر التاريخ بضمه الى صدره وعرضه في مثلاته وعبره لياخذ منه الملوك والرؤساء دروسا في الوطنية والتضحية اللتين هما من اندر النادر في هذه الطبقة من الناس.

ومرة ثالثة! ورابعة! وخامسة! يشرف جلالته على التاريخ والمؤرخين بوجهه الصبوح وخلقه السجيح وحركته الدائمة، فما شئت من كرم نفس وشرف عنصر وتواضع جم واخلاص نادر الى قلب ذكي وانف حمي وبديهة حاضرة واحاديث كالامثال السائرة. وان الصحف لتتناقل من كلماته وتعقيباته على الاحاديث السياسية التي يتحدثها اليه ممثل الحماية وغيره ما يقضي الناس العجب منه ويبقى المدة الطويلة تتداوله المجامع بكل اعجاب

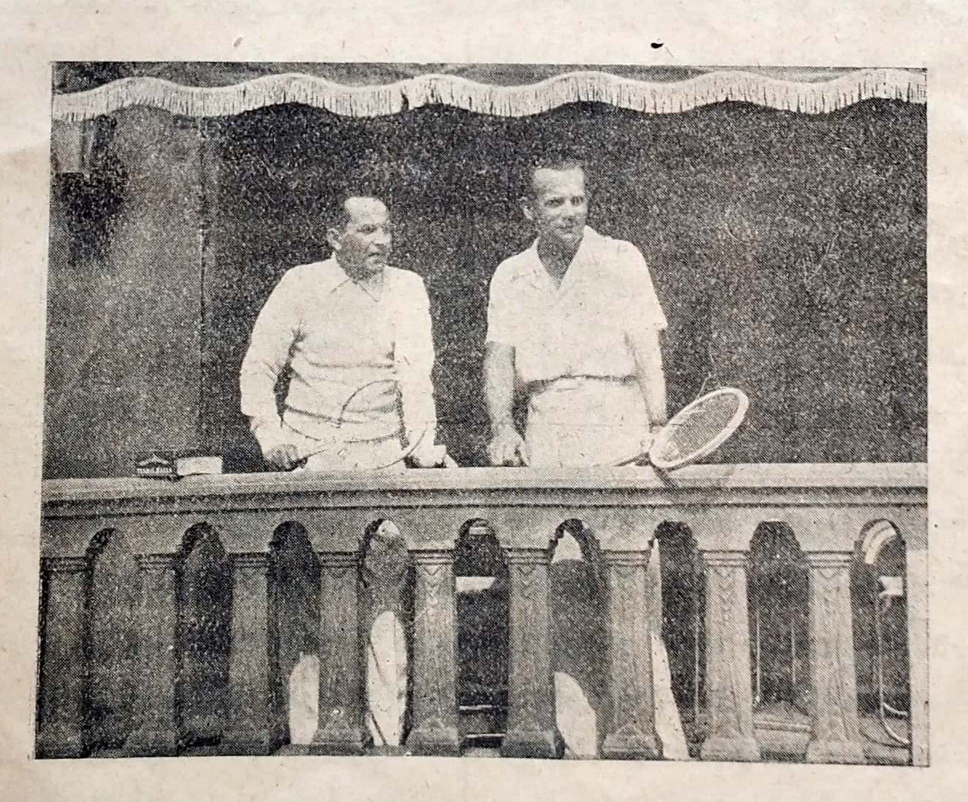
وامر تحدث جلالته وإبانته عن غرضه، يظهر جليا في خطاب العرش الذي يفوه به كل سنة بمناسبة ذكرى جلوسه على عرش المغرب في يوم ١٨ نونبر ١٩٢٧ وهذا الخطاب يحتوي دائما على الاعمال المنجزة من طرف جلالته خلال العام في سبيل نهضة المغرب العلمية والسياسية والاقتصادية وعلى التوجيهات الرشيدة التي يتوجه بها جلالته الى العاملين في الحقل الوطني مع كامل العطف والتاييد. والذي يقارن بين ما كان عليه هذا الخطاب في اول الامر وما صار اليه الآن سواء من ناحية الاسلوب او الموضوع او الالقاء يعلم مبلغ الجهد الذي يبذله العاهل الكريم من اجل إثبات شخصيته والحصول على غاية الكمال في كل ما يحاوله. وهذه ناحية سوف لا يجد التاريخ مندوحة من ملاحظتها واضطراره مرة اخرى لتسجيلها واقتباس ما يمكنه اقتباسه من اقوال الملك المصلح وخطبه وتوجيهاته وانها لكثيرة! وانها لمما يقال فيه كلام الملوك ملك الكلام!..

اما سر الله الذي لاخفاء به فهو التوفيق الذي اصحبه هذا الملك فهدى به من تيه الضلال، وكف من ايدي العبث، وبث روح الغيرة والحفاظ في اكثر الناس ذلا وخنوعا، فلا ترى الا القائمين بدعوته المستميتين في نصرته سواء في شعب الجبال وبطون الاودية او على رمال الصحراء وسيف البحر وقل من اتصل به في عمل او خدمة من قريب او بعيد ولم ياخذ بسنته ويعمل على نهجه في ايثار الصالح العام والنصح الخالص للامة، ولو كان فيما قبل من اكبر الخونة الا الشاذ النادر

الذي لاحكم له ومن شذ شذ في النار !

وها تحول التاريخ الى شاهد عدل على اناس كان ممكنا ان يكون لهم ذكر لفضل علم او شجاعة مثلا ولكنهم خالفوا على محمد الخامس فباءوا بالخسران المبين .

واما قبل ومع وبعد، فقد برز محمد الخامس في الطليعة من ملوك التاريخ وادى مهمة الملك الصالح المصلح مرارا فكتب صفحات ذهبية في تاريخ المغرب لاتقل في شيء عما كتبه اسلافه العظام من ملوك هذا القطر ان لم تفقه بالنظر الى ماكاوا يتمتعون به من سلطة ونفوذ وما يعالج هو من استرداد ماضاع من ذلك ، فلا يضيره بعد هذا شيء ولايكيد له كائد يحاول التنقيص منه او زحزحة عرشه فهو فى الملوك كأهل بدر في الصحابة قد قام بواجبه خير قيام ، وكل ما ياتيه بعد من اعمال كبيرة انما هو نافلة خير له ؛ درجات عند ربه واياد عند امته . دام له النصر والتاييد .



حضرة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس يستعد لمباراة فى التنس الذي يعتبر من امهر لاعبيه